الأرشيف الجزائري بين السطو الفرنسي ومعركة التحرير 1962– 2022

Algerian archives between the French robbery and the battle of liberation 1962-2022

علاوي فضيلة *

جامعة الجزائر –2– أبو القاسم سعد الله

Fadila.Alaoui@univ-Alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/02 تاريخ القبول 2023/04/24 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص:

قامت فرنسا منذ بداية عام 1961 بالتحضير للسطو على الأرشيف الجزائري من خلال نقله وتجميعه من كل الجهات ثم بداية تحويله نحو فرنسا. ولقد تمثلت عملية السطو الخطيرة في نهب ما يتجاوز الـ 600 طن من الوثائق الأرشيفية المهمة من عمر تاريخنا بكل مراحله. ولا يزال الأرشيف واحدا من ملفات الذاكرة محل النزاع بين الجزائر وفرنسا وحيث تكون قضية الذاكرة على طاولة العلاقات الجزائرية الفرنسية تكون قضية استعادة الأرشيف في مقدمتها. إن معركة تحرير الأرشيف ليست قضية ثقافية أو تاريخية في المنظور والمقاربة الجزائرية وإنما هي جزء من قضية السيادة الوطنية ولذلك يستمر النزاع مع مستعمر الأمس حولها إلى اليوم حيث لا تزال فرنسا تماطل أحيانا وتعيد الأوراق التي تمجدها أحيانا أخرى وتحيل القضية دائما إلى اللجان والوعود المشكوك فيها وتأخذها وسيلة للابتزاز الاقتصادي والتأثير على الموقف الوطني اتجاه القضايا التاريخية. لكن الجزائر تعتبر استعادة الأرشيف خطوة هامة لإعادة مراجعة تاريخها القومي لصيانة ذاكرتها الوطنية

* المؤلف المراسل

وتثمين نضال شعبها المستمر طويلا في حماية شخصيتها الوطنية واستعادة استقلالها وسيادتها.

الكلمات المفتاحية: الأرشيف الجزائري، ملف الذاكرة، الذاكرة الوطنية، تجريم الاستعمار، حرب الذاكرة.

Abstract:
Since the beginning of 1961, France has prepared for the robbery of the Algeria archive by transferring and assembling it from all sides, and then beginning to transfer it to France. The serious robbery was the looting of more than 600 tons of important archival documents from the life of our history in all stages. The archive is still one of the memory files under dispute between Algeria and France. The battle to liberate the archive is not a cultural or historical issue in the Algerian perspective and approach. Algeria considers the restoration of the archive an important step to re-review its national history to preserve its national memory and to value its people's long-standing struggle to protect its national character and restore its independence and sovereignty.

key words*:* Algerian archive; memory file; national memory; criminalization of colonialism; memory war.

مقدّمة:

تعود قضية النزاع الجزائري الفرنسي حول الأرشيف الى بداية استعادة الاستقلال وباعتبارها مسألة تتعلق بالسيادة الوطنية ما تزال قائمة منذ 1962 إلى الآن و يعود ذلك الى انه عندما أصدرت السلطات الاستعمارية آنذاك قرارا تعلق بترحيل جميع الوثائق المخطوطة و المطبوعة و المصورة بما فيها أرشيف السيادة و الأرشيف الإداري و التاريخي الذي من بينه ذاك التعلق بتأريخ القرنين الخامس عشر و السادس عشر الميلادين و بفترة الوجود الفرنسي في الجزائر(1).

لقد نقلت السلطات الاستعمارية في مارس 1962 كل أرشيف الجزائر بقرار رسمي، حيث تم اجتماع تحت رئاسة "ماكسيم روكس" ببومرداس وكان يشغل منصب الكاتب العام للإدارة في الجزائر حول الأرشيف وإصدار تعليمة إلى كل المسؤولين الجهويين عن

المحفوظات الأرشيفية بضرورة نقل شامل لكل الأرشيف إلى فرنسا[2] ومن هنا بدأت عملية السطو الرسمية ويتعلق الأمر بالتعليمة رقم DGAG/AG2/534 في 6 0مارس 1962[3].

منذ الاستقلال والجزائر تطالب باستعادة أرشيفها و استمرار هذه المطالبة الجزائرية وإصرارها على إعادة الأرشيف الذي يقدر حجمه ب 200.000 علبة[4] أي ما يقارب 600 طن من الوثائق[5] اصبح قضية جوهرية تتعلق بالراي العام في الجزائر و ذلك من أجل كتابة تاريخها وتنقيته وهو ما ادى إلى لجوء فرنسا لاتخاذ قرارات تم بموجبها إعادة بعض الوثائق و التي كان من بينها 450 سجلا في سنة 1967 جلها يتعلق ما قبل 1830 [6] و 15 علبة في سنة 175 و 133 سجلا في سنة 1983 و امتنعت عن إعادة ما تبقى منها بحجة متطلبات إنسانية و ضرورات إستراتيجية متعلقة بأمنها [7].

والجدير بالذكر أن عملية نقل الأرشيف تمت عبر مراحل فابتداء من شهري جانفي وفيفري 1961 تم إعلام المسؤولين الجهويين للمحفوظات الأرشيفية بالجزائر بتعليمات شفوية بضرورة نقل الأرشيف لاسيما السري منه وهذا حسب رسالة أرسلت في 6مارس 1961 من طرف المدير العام للأرشيف بفرنسا والتي رد عليها مسؤول المحفوظات بقسنطينة بإرسال كل المحفوظات المتعلقة بالشرطة والأمن العام يوم17 ماي 1961[8].

أما على مستوى محفوظات أرشيف وهران فقد تم نقل 5 أطنان من الأرشيف التي تم نقلها إلى المرسى الكبير يوم 24 ماي 1961 حيث تعلق الأمر بوثائق أرشيفية تتميز بأنها ذات طابع سري لأنها تمس أمن الأشخاص[9].

ومع بداية 1962 في جانفي تم إشعار المسؤولين الجهويين للمحفوظات من طرف البعثة العامة للتحضير من أجل نقل القسم الثاني من الأرشيف إلى فرنسا حيث تم

إجتماع حضره ممثلون عن الإدارة العامة والمسؤولين الجهويين عن المحفوظات يوم 09 فيفري 1962 بالبعثة العامة وقد تكفل المسؤولون الجهويون ببعث كل الوثائق المكتوبة والمطبوعة إلى فرنسا(10).

1. فرنسا تلاعبت في تسليم أرشيف خرائط الألغام:

لم تسمح الحكومة الفرنسية بحصول الجزائر على الأرشيف الوطنيّ التاريخي للجزائر، خصوصا الأرشيف المتعلق بالفترة الاستعمارية الفرنسية رغم أهمية بعض الملفات وخطورتها الأمنية والإنسانية مثل ملف خرائط الألغام المنتشرة على المناطق الحدودية، ولم يكن صحيحا ان مبادرة خارطة الألغام المسلمة من قائد أركان القوات الفرنسية جون لويس جورج لقائد أركان القوات الجزائرية الفريق أحمد قايد صالح تعكس رغبة و إرادة السلطات الفرنسية في إزالة الحواجز الموروثة عن العهد الاستعماري، و تأمل في بناء علاقات ثقة مع الجزائر(11)، علما انها لم تكن مفيدة كثيرا في كشف الألغام الفرنسية في منطقة الحدود، رغم تركيز الفرنسيين على إعطاء تسليم خرائط الألغام طابعا رسميا، رافقه تغطية إعلامية فرنسية مكثفة، تغطي تبادل الخرائط مع ساعات مسجلة من الأرشيف السينمائي عن الفترة الاستعمارية.

2. استعادة جزء من أرشيف حقبة ما قبل الاستعمار:

يتكرر التماطل والدوران عن جوهر الموضوع كل مرة ومن أمثلة ذلك ما تضمنته مراسلة من السفارة الفرنسية في 66/12/23 حيث ردت فرنسا عبر سفارتها بالجزائر بمراسلة على طلب الجزائر لاسترجاع أرشيفها(12) والذي تضمن رد المديرية العامة للأرشيف الفرنسي بأنها تضع تحت تصرف الجزائر 450 سجل أصلي باللغة التركية والعربية المتعلق بإدارة جزائرية قبل 1830 وأيضا قبل جويلية 67 ستستقبل بدون مقابل " ميكرو فيلم " يحتوي على وثائق باللغة الاسبانية كان موجودا في أكس ان بروفانس

وهو صور محفوظة في روما والأندلس ويتعلق أمر الوثائق بالاحتلال الاسباني لسواحل إفريقيا ولم ترد الخارجية الجزائرية سوى بتلقي الرسالة [13].

3. هروبا من الاعتراف فرنسا اعادت الوثائق الارشيفية الممجدة للحقبة الاستعمارية:

عبر وزير المجاهدين الجزائري الشريف عباس عن زاوية نظر تاريخية أخرى حين قال عن الملفات الارشيفية المسلمة للجزائر: " أنّ الأرشيف الذي استلمته الجزائر عن فرنسا يمجّد الفترة الاستعمارية، ولا يعكس الاعتراف الفرنسيّ بحقيقة المذابح والمجازر المقترفة في حقّ الشعب الجزائري، وقال أنّ الفرنسيين لا يريدون تسليم الوثائق السرية التي تفضح الأوامر العسكرية الفرنسية ضدّ الأبرياء والعزل، منذ مجازر 08 ماي 1945 إلى سنة 1962، واعتبر أنّ مجازر ماي 1945 كانت المنعرج الحاسم لتوضيح حقيقة الاستعمار الفرنسيّ الهمجي في الجزائر، وأنّ الجزائر تقترب من اختطاف الاعتراف الفرنسيّ بجريمة الاستعمار في تلك الأحداث التاريخية المعروفة للعامل بأسره هذا الاعتراف المنقوص الذي عبر عنه الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند ولكن في ظل البراغماتية الفرنسية وليس في رؤية حقيقية للجرائم الاستعمارية[14].

إن الأرشيف لا يزال محل نزاع بين الطرفين الفرنسي والجزائري ولذلك فإن العلب المتعلقة بموضوع النزاع حول الأرشيف لم تتح لنا في البحث داخل الأرشيف الفرنسي الأمر الذي اضطرنا إلى طلب تدخل مسؤولي الأرشيف وتقديم طلب للجهات المسؤولة ولكن للأسف كان الرد بعد مدة بالرفض باعتباره حالة نزاع بين البلدين [15] .

وبالرغم من أن القوانين المتعلقة بالأرشيف تستثني أرشيف الشرطة والاستعلامات اذ هو فقط الذي " لن يفتح قبل 50 سنة، وأحيانا حتى 75 سنة، ويمكن الوصول إليه عن طريق " الرخصة فقط "، لكن أرشيف ما قبل 1958 مفتوح للجميع. حسب

السيدة مارتين دوبوادوفري مديرة الأرشيف الوطني الفرنسي لما وراء البحار " ومقرها إيكس أونبروفانس قرب مدينة مارسيليا[16].

4. الانتقائية تعيق الجزائر عن الاستفادة من ملفات الأرشيف:

تؤكد دوبوادوفري مديرة أرشيف فرنسا أن فتح الأرشيف يكون للجميع، سواء أكانوا جزائريين أو أجانب، باحثين أو قراء أو مواطنين عاديين، بشرط توفر فيه الشروط التي يحددها القانون لفتح الأرشيف، فالقانون الفرنسي ينص على أن هناك نوعا من الأرشيف يفتح بعد 25 سنة، وآخر بعد 30 سنة، وآخر بعد 50 سنة لأرشيف الخواص، وأرشيف الدفاع الوطني، وآخر بعد 75 سنة لأرشيف الحالة المدنية والأرشيف القضائي، وهناك من الأرشيف ما لا يفتح إلا بعد مرور 125 سنة مثل أرشيف السر الطبي[17].

وبالتالي فإن كل أرشيف وصل إلى المدة التي يحددها القانون يصبح لديه " القابلية للإطلاع عليه أما الأرشيف الذي لم يبلغ المدة التي يحددها القانون، فإنه يمكن القيام بإجراء استثنائي، من خلال التقدم بطلب " ترخيص " للإطلاع على أرشيف معين، ويقدم الطلب لمديرية الأرشيف الفرنسي، وتقوم بإخطار الجهات المعنية، التي قد توافق وقد لا توافق. ويمكن للجميع سواء أكانوا قراء أو باحثين أو مواطنين عاديين بطلب هذه الرخصة، على أن يوضحوا سبب طلبها[18].

وأضافت دوبوادوفري أن فرنسا وقعت مع الجزائر اتفاقية التعاون في مجال الأرشيف وتبادل نسخ (لأن أرشيف الجزائر في فرنسا هو أيضا أرشيف فرنسي، وهناك أرشيف فرنسا في الجزائر وهو أيضا أرشيف جزائري) حسب المدة التي يحددها القانون. معتبرة أن الأرشيف التقني للجزائر، وأرشيف العمل اليومي، بقي في الجزائر بعد الإستقلال، وأن فرنسا لم تأخذ معها سوى ما تسميه " أرشيف السيادة "[19].

وقدم السفير الفرنسي برنار إيميه، ممثلا للجمهورية الفرنسية في الجزائر، إلى الأرشيف الجزائري ممثلا بمديره عبد المجيد شيخي 22 مجلدا تحمل نسخ من الوثائق الدبلوماسية الفرنسية التي تغطي أحداث الثورة التحريرية الجزائرية خلال الفترة الممتدة من 1954 إلى 1962 . وجاء في بيان للسفارة الفرنسية بالجزائر، أن هذه الخطوة تدخل في إطار الحوار السلمي وثقة تشارك مع الجزائر بشأن مسألة الأرشفة وأنه تم تشكيل فريق عمل ثنائي، اين تم اجتماعهم 6 مرات بمشاركة مديري الأرشيف الجزائري والفرنسي[20].

5. فرنسا ترهن الأرشيف الجزائري لابتزاز الجزائر عبر ملف الذاكرة:

ان ملف الأرشيف ليس قضية معزولة بل هو ملف مرتبط بغيره من الملفات التاريخية العالقة " فإن ملفي التفجيرات النووية والمفقودين لا يمكن مناقشته بمعزل عن ملف الأرشيف لأن الملفات الثلاثة مرتبطة ولا يمكن فصلها فالحديث الحقيقي والموضوعي عن المفقودين أو مواقع التفجيرات النووية –وحتى خرائط الألغام على خطي شال وموريس– مستحيل دون العودة إلى الأرشيف الوطني الجزائري لدى فرنسا . [21]

وإن مماطلة فرنسا في عدم اعادة الوثائق التاريخية التي استولت عليها ونقلتها إلى فرنسا (باريس، ايكس ان بروفانس، نانت، ومناطق اخرى من فرنسا) قبل الاستقلال حتى لا تتمكن الجزائر من اعادة كتابة تاريخها[22] والاستفادة منها فهذا الأرشيف أصبح وسيلة ضغط وابتزاز تحاول فرنسا من خلاله اطالة امد ارتباط العلاقات تاريخيا بين قوة استعمارية وبلد كان مستعمرة لها [23].

حيث كان الهدف من ورائها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لأن هذه الوثائق لا تتعلق بفترة التحرير فقط ولا حتى بفترة الاستعمار بل تعود إلى ما قبل 1830 وتكمن أهمية هذه الوثائق في عدة عوامل [24]:

- ما يتعلق بالسيادة الجزائرية وحقها في استعادة هذه الوثائق حسب ما نصت عليه قرارات منظمة اليونيسكو سنة 1960 وسنة 1966.

- إداريا و قانونيا من حق الجزائر أن تستفيد منها في بناء هياكلها الخاصة ولتتمكن من حل كثير من المشاكل الإجتماعية التي لاتزال عالقة بدون حل.
- إقتصاديا حتى تتمكن الجزائر من الإستفادة من قائمة المصادر الجيولوجية والهيدرولية في البلاد وهو إحصاء يتطلب للقيام به من جديد نفقات طائلة .
- ثقافية واجتماعية حتى تتمكن الجزائر من إعادة كتابة تاريخها بطريقة صحيحة ونقية من الشوائب التي علقت به من خلال عملية التزييف التي مارسها المستعمر عن طريق مفكريه وكتَابه الذين كانوا من ضمن أدواته الفعالة للسيطرة على الجزائر(25) .

خاتمة:

إن مشكل الأرشيف الجزائري في العلاقات الفرنسية الجزائرية لا يزال واحدة من العقد التاريخية لكل الادارات الفرنسية التي لا تريد تحمل المسؤولية التاريخية وبالتالي سيبقى جزءا من معركة التحرير التي حققت استرجاع السيادة بالثورة وعملت على التحرر من الاستنزاف الفرنسي للثروة وتبقى امانة الأجيال قائمة في استكمال ذلك باستعادة الأرشيف كسجل تاريخي يحمي الذاكرة ويساعد في كشف الحقيقة الاستعمارية مثلما ينير صفحات التحرر الوطني التي تعتم عليها فرنسا بل تلقي خرائطه صورا أوضح لمقدرات وثروات اقتصادية مستقبلية .

الهوامش:

(1) صالح سعود، **الإستراتيجية الفرنسية حيال الجزائر منذ 1981 دراسة مستقبلية**، طاكسيج .كوم، الجزائر ،2009، ص 160.

(2) Mehenni Akbal, **Archive Algériennes de la France coloniale**, editions Hibr, Alger2014, pp 24-25.

(3) Ibid, p 105.

(4) Abdelkrim Badjadja, « **Panorama des Archives de l'Algérie moderne et contemporaine** » in **la guerre d'Algérie1954-2004 la fin de l'amnésie sous la direction de Mohammed Harbi et Bendjamin Stora,** editions chihab , Alger , 2004, pp 299-302.

(5) صالح سعود، **الإستراتيجية الفرنسية حيال الجزائر منذ 1981 دراسة مستقبلية**، مرجع سابق، ص 160.

(6) A.M.A.E, Direction Afrique du nord, Algérie, carton **N° 21,(1966/1975)**, dossier : **27/11/1969.** A10.1.2. « **protocole d'accord** »

(7) صالح سعود، **الإستراتيجية الفرنسية حيال الجزائر منذ 1981 دراسة مستقبلية**، مرجع سابق، ص 160.

(8) Mehenni Akbal, op.cit, pp 24-25.

(9) Ibid.

(10) Ibid, pp 23-24.

(11) أحمد مقعاش " **الجزائر تتسلم خرائط الألغام الفرنسية** " *قناة بي بي سي*، 22 أكتوبر 2007 .

(12) A.M.A.E, Direction Afrique du nord, Algérie, carton **N° 21 ,(1966/1975),** dossier:A10.1.2 « **protocole d'accord » 27/11/1969.**

(13) Ibid.

(14) *صوت الأحرار*، " **محمد الشريف عباس وزير المجاهدين: إسترجاع أرشيف ثورة التحرير أولى من قانون تجريم الإستعمار"**، **18 /2012/03**

(15) انظر ملحق رقم : (**09**)

(16) محمد لعقاب، " **الجزائر فرنسا: علاقات عبر الأرشيف**"، حوار مع مديرة أرشيف فرنسا، *صوت الأحرار*، عدد 09 ، جوان، 2012

(17) نفسه.

(18) نفسه.

(19) نفسه.

(20) "**بيان السفارة الفرنسية حول تسليم بعض الأرشيف**"، *جريدة الحياة*، الجزائر، الخميس 8 سبتمبر 2016.

(21) **تصريح وزير المجاهدين** 2016/02/15:

http://www.elkhabar.com/press/article/100532/#sthash.v10ZE3RG.dpuf

(22) *Afrique-Asie*, N°254, France ;07-12-1981, pp 56, 57 .

(23) Mehenni Akbal, op.cit, p90.

(24) Revolution Africaine, **Algérie,** 03-12-1981, 32-33.

(25) Ibid, pp 32-33**.**

قائمة المراجع:

- صالح سعود، **الإستراتيجية الفرنسية حيال الجزائر منذ 1981 دراسة مستقبلية**، طاكسيج .كوم، الجزائر، 2009.
- أحمد مقعاش " **الجزائر تتسلم خرائط الألغام الفرنسية** " *قناة بي بي سي*، 22 أكتوبر 2007.
- *صوت الأحرار*، " **محمد الشريف عباس وزير المجاهدين: إسترجاع أرشيف ثورة التحرير أولى من قانون تجريم الإستعمار"**، **18 /2012/03**.

- محمد لعقاب،" **الجزائر فرنسا: علاقات عبر الأرشيف**"، حوار مع مديرة أرشيف فرنسا، *صوت الأحرار*،عدد 09 ، جوان، 2012.
- **بيان السفارة الفرنسية حول تسليم بعض الأرشيف**"، *جريدة الحياة*، الجزائر، الخميس 8 سبتمبر 2016.
- **تصريح وزير المجاهدين**2016/02/15:

http://www.elkhabar.com/press/article/100532/#sthash.v10ZE3RG.dpuf

- Mehenni Akbal, **Archive Algériennes de la France coloniale**, editions Hibr, Alger2014.
- Abdelkrim Badjadja, « **Panorama des Archives de l'Algérie moderne et contemporaine » in la guerre d'Algérie1954-2004 la fin de l'amnésie sous la direction de Mohammed Harbi et Bendjamin Stora,** editions chihab , Alger , 2004.
- A.M.A.E, Direction Afrique du nord, Algérie, carton **N° 21,(1966/1975)**, dossier : A10.1.2. « **protocole d'accord » 27/11/1969.**
- *Afrique-Asie*, N°254, France ;07-12-1981.
- Revolution Africaine, **Algérie,** 03-12-1981.